كلمة

معالي السيناتور داتؤ الدكتور ذو الكفل
محمد البكري

عضو مجلس حكماء المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لقد كان من حكمة الإله ورحمته أن يرسل إلى الناس رسلًا مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وقال تعالى لمريم في شأن ابنها عيسى عليه السلام ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾. ولما أراد اللَّه أن يختم رسالاته إلى الناس ويكمل لهم الدين بعث محمدًا فكان رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ لقد أفاض اللَّه عليه من رحماته فكان رحمة للعالمين لم يكن للمؤمنين ولا للمسلمين إنما للعالمين قال ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة). قال رسول اللَّه: (من لا يَرْحَم لا يُرْحَم). هكذا على إطلاقها تأتي العبارة، مَن لا يَرحم العباد -دون تحديد ولا تقييد- لا يرحمه اللَّه. ويقول أيضًا: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ). وكلمة «مَنْ» تشمل كل مَن في الأرض، ويقول كذلك: (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ).

وخلال حديثنا عن التعايش فإننا يجب علينا تجلية (تظهير) الشخصية المحمدية في بعدها الإنساني أولا: وذلك جريًا على الترتيب القرآني ذاته في تظهير شخصية الرسول، في مثل قول اللَّه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ وكان يستقيم التعبير بعكس الترتيب، وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ وكان يستقيم البيان بإغفال البشرية أو بتبديلها إلى النبوة، ولكن ذلك لم يكن، تنبيهًا على أنه بيان وترتيب مقصود من ورائه معنى مهم. ألا وهو

أنَّ حضور الشخصية المحمدية بين الناس ذات تجليين متكافئين في الاعتبار ومتراتبين في الظهور. هما (البشرية المحمدية) أولا، يشفعها (الوحي الرسالي) ثانيا، ولا بدَّ من اعتبارهما معًا في مقام الإجلال. ومن اعتبار التراتب بينهما في العرض والدرس والبلاغ والنتاج الديني عموما. فمن تجلي البشرية المحمدية الأساس يجيء لزوم العناية أولا بالأبعاد الروحية والأخلاقية والفطرية والعقلية التي تشكل أبعاد المعنى (الإنساني) في الحياة المحمدية.

لقد دعا محمد ﷺ إلى الإيمان والإحسان والتقوى، فتمم في الإنسان أعمال الفضيلة حتى جاء إنسانا مثاليا في (إنسانيته). فإن (التقوى) ذات متعلقين: أحدهما بين العبد ورته، والآخر بين العبد وأخيه، فما لم يوضعا معا فإنها يرتفعان معا.

ولذلك كانت صفة الدين الذي جاء به محمد ﷺ (الدين القيم). وجاءت هذه الصفة كأنها معللة بما قبلها: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أي كأن القرآن في هذه الآية يجعل مقياس (تقييم) الشرائع والقوانين والتعاليم موافقتها لنواميس الطبيعة الإنسانية ومحاكاتها إياها، فإذا جانبتها أو نبت عنها ولو من بعض الوجوه فليست بالدين القيم، وليست بالشريعة التامة الموزونة.

وبناء على ذلك: فالحضارة هي حضور، والحضور لا يكون بالعنف والقهر والجبر، وإن الحضور قوامه الحوار والإقناع فالحوار ملازم

للحضارة لا ينفك عنها ولا تنفك عنه، ومن كان حاضرًا على الواجهة الإنسانية في عصر ما بالإرهاب والتهديد والعنصرية والعنف والتعصب فحضوره تخلف وعنجهية.

وحتى يكون الحوار مناسبًا للحضارة وهو طريقها ينبغي أن يرتكز على الأسلوب الإنساني، مما يعني الاعتراف بالآخر واحترامه إنسانًا يَحِقُّ له أن يتعاطى الفكر بحرية وضمان منَّا، كما يحق لنا الشيء ذاته.

وها نحن أولاء نجتمع اليوم لنتنادى وعبر المنظمات الإنسانية الدولية والإقليمية إلى ضرورة الحوار، فالحوار الثقافي حوار يتطلع إلى الإحسان في النهاية، إلى تحقيق الإحسان في الارتكاب أو الاجتناب، فإن دعوت إلى خير فليكن ذلك على أساس من إحسان وتلطف وإن نهيت عن شر فكذلك.

فالحوار أمانة لا يراد منه الإدانة لكنما الكلمة المقنعة، ونحن في حوارنا لا نُدين ولكننا نسعى إلى إظهار الذي ندين، والحوار إنقاذ من جوع يستفحل وعطش يتفشى لأن ثمن الطعام والمياه تحول إلى متفجرة دمرت حاضرًا وهددت مستقبلًا.

ونحن هنا برعاية كريمة من عاهل البلاد المعظم حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة وبمشاركة وحضور فضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، رئيس مجلس حكماء المسلمين، وقداسة البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية بالإضافة إلى قادة الأديان وشخصيات بارزة من مختلف دول العالم نأمل

بأن يحل السلام ونعيش باستقرار، الأخوة الإنسانية هي التي تجمعنا برغم الاختلافات، ويبقى السلام هو مبتغى كل فرد على وجه الأرض والحوار السلمي الإيجابي هو مفتاح لتحقيق القيم الإنسانية والسلام، فالإنسان ولد حرًّا، وخلقنا اللَّه عز وجل شعوبًا وقبائل، جميعنا نشترك بقناعاتنا الدينية والعقائدية، وجميعنا ندعو للسلام الذي لن يتحقق إلا بالتعايش المسالم من خلال تقبل الآخر رغم الاختلافات، ودورنا كإخوة في الإنسانية أن نبذل المساعي الخيّرة لتحقيق ذلك، ومملكة البحرين نموذج نفخر به للسلام والتعايش السلمي المتناغم، وها هو مجلس حكماء المسلمين يصنع الحاضر ويضع بصمته في إرساء رسالة البشرية جمعاء هي: (وتعارفوا.. والمجلس يعمل في هذا الطريق) وهذا اللقاء من شأنه نشر روح الود والصداقة من أجل السلام، لأن مثل هذه الملتقيات مهمة للبشرية خاصة أنها تتناول موضوعات مهمة للغاية كالتعليم، والاقتصاد والشباب والثقافة.

* * *